محاضرة الرواية النسائية في المغرب العربي

إن الحديث عن أدب المرأة يثير العديد من الأسئلة النقدية، أبرزها إشكالية المصطلح و تلقي أدب المرأة في الساحة النقدية لا سيما العربية منها، زمع ذلك نرى أن المفهوم والمعنى العام لمصطلح الأدب النسائي والنسوي و الأنثوي_ في نظرنا_ وجميع التسميات الأخرى كأدب الحريم، أدب المرأة... تصب كلها في بوتقة واحدة هي الأدب الذي تنتجه المرأة، و دليل ذلك، أن هذه التسمية و الإشكالية لم تظهر إلا مع ظهور المرأة على الساحة الأدبية و أصبح إنتاجها ظاهرة و حالة تثير الفضول في الكم أولا، لا النوع، لأنها دخلت ساحة لم يعتد على حضورها و قد سيطر عليها الرجل زمنا، و إن كان قبلها (الرجل) قد كتب عن المرأة و أثار مواضيع تدافع عن قضاياها، فإن الإشكالية لم تُطرح بعد، ثم مر بمرحلة أخرى فرضها واقع الأدب نفسه كما و نوعا جعلت الإشكالية تبرز في باب التدقيق في المصطلح من جانب أكاديمي و علمي و نقدي، و الإشكالية إلى حد الساعة لا يزال السجال فيها مشحونا باختلاف الآراء حولها و التي تتأرجح بين مؤيد ومعارض لجميع التسميات في حد ذاتها انطلاقا من خلفيات متعددة.

نشأة الرّواية النسائية المغاربية.:

ويعود أوّل ظهور للرواية النسائية المغاربية –المكتوبة بالعربية– "إلى سنة 1954 بصدور نص الملكة خناثة، لآمنة اللّوة، ثمّ تلاه نص النار والاختيار لخناثة بنونة، فنص غدا تتبدّل الأرض1968، لفاطمة الرّاوي 1967"9 في المغرب الأقصى، وهذا ما يمنح كاتبات الرّواية النسائية المغربيات (المغرب الأقصى) السبق في ارتياد مغامرة كتابة الرّواية، لأنّ هذه النصوص ظهرت في وقت مبكّر مقارنة بالنصوص الّتي ظهرت في الأقطار المغاربية الأخرى.

لقد اقترن ظهور الرّواية النسائية المغاربية بمرحلة حصول بلدان المغرب العربي على الاستقلال، وهي مرحلة تميّزت بحدوث تغيُّر في البنية الثقافية والذهنية والسلوكية لدى المجتمعات المغاربية، ويفضي ذلك إلى القول إنّ الرّواية النسائية المغاربية حديثة عهد في الثقافة المغاربية.

أمّا مرحلة السبعينيات فتميّزت بصدور أوّل رواية نسائية في ليبيا، هي رواية (شيء من الخوف) للكاتبة مرضية النعاس سنة 1972، وأوّل رواية نسائية جزائرية هي (من يوميّات مدرِّسة حرّة) لزهور ونيسي سنة 1979، ولم تظهر الرّواية النسائية في تونس إلى غاية سنة1983 عندما صدر نص (آمنة) لزكية عبد القادر، ثمّ تواتر بعد ذلك ظهور النصوص الرّوائية النسائية في الأقطار المغاربية باستثناء موريتانيا الّتي لم تشهد ميلاد هذا اللون الإبداعي إلى الآن، ولعلّ النماذج الّتي سنوردها بعد حين أنْ تسهم في رسم صورة عامّة للإبداع الرّوائي النسائي المغاربي المكتوب بالعربية

خصائص الرواية النسائية في المغرب العربي:

يشكل عالم المرأة بكل حيثياته وأبعاده موضوع اشتغال الرواية النسائية المغاربية، و أبرز الظواهر التي تبني بشكل أساس و عميق أغلب الروايات المدروسة.

تنهض الروايات بمهمة تقديم عالم المرأة عبر البوح الأنثوي، الذي تمارسه الشخصية الورقية للإفصاح عن معاناتها و همومها داخل الرواية، و ما دامت الكتابة وسيلة للتعبير عن همومها، و هو موضع لم يتح لكل النساء، ستقوم المرأة الكاتبة بدورها تجاه بنات جنسها بكل ما تستطيع، فهي تفكك حياتها و حياة المرأة عامة عبر المحكي الروائي، و تقدمها بوعي تام يقوم على واقع معين يشخص الوضع الأنثوي العام و الخاص بطرق عديدة مثل الاسترجاع و الاعتراف و البوح الذاتي، وكل ذلك نستطيع حصره في البوح الأنثوي الخاص بالمرأة لأنه لا يدور إلا داخل السرد تتقاسمه

مع ذاتها عبر صفحات الرواية، و لا تستطيع الإفصاح به خارجا في أغلب الحالات بالحرية ذاتها التي تجدها في الكتابة.

و أكثر الروايات التي تناولت معاناة المرأة و كان محورها الرئيس يدور عنها، قد تمثلت أبرز قضاياها في الحب، والتعليم، والزواج، والخيانة الطلاق والاغتصاب والقيود المفروضة على الأنثى عامة و منها: رواية زهرة الصبار للروائية التونسية علياء التابعي ، رواية "رجل لرواية واحدة" للروائية التونسية " فوزية الشلابي"، رواية "آمنة" لزكية عبد القادر، رواية المرأة التي استنطقت الطبيعة ، رواية نحب الحياة" لأمال مختار ، ورواية مزاج **مراهقة**، و تاء الخجل، لفضيلة الفاروق.....

وكان الرجل داخل المحكي الروائي هو سبب محنة المرأة فيها بسلطته الاجتماعية و قسوته وخيانته، فقُدِّم في صورة سلبية مبتورة القيم والإنسانية تجاه المرأة، و كأنه هكذا دائما، الصورة ذاتها تتواتر و إن تعددت مضامين الروايات. لكن الملاحظ في ذلك أن بعض الروايات تقدم أحداثا، تدفعها أسباب لتعطي نتائج معدّة سلفا، فهي لا تقدم شخصيات ناضجة حاملة لفكر معين.

فكان موضوع جنس الأنثى، التعليم والطلاق، والاغتصاب، وسلطة الزوج وقهره...أبرز المواضيع حضورا في المتن الروائي النسائي المغاربي.

تتبنى المرأة عبر نصوصها خطابا إيديولوجيا فحواه أن الرجل هو سبب معاناتها، وقد عبرت عن معاناة المرأة. و قدمت من خلالها صورتها داخل المجتمع لكنه ليس الخطاب المسيطر على الرواية النسائية المغاربية، إذ إنه يشيع كذلك في كتابات الرجل.

المراجع المعتمدة:

-بوشوشة بن جمعة: التجريب وإرتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للنشر، تونس،ط1، 2003

--بوشوشة بن جمعة:سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2005

– محمود طرشونة: الرواية النسائية في تونس، مركز النشر الجامعي، تونس، ط 1، 2003،

–محمد معتصم: المرأة و السرد، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004، – نزيه أبو نضال: تمرد الأنثى، في رواية المرأة العربية و ببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885– 2004)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط 1، 2004،

– نازك الأعرجي: صوت الأنثى، دراسات في الكتابة النسوية العربية، دار الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ط 1، 1997،

– محمد جلاء إدريس: الأنا و الآخر في الأدب الأنثوي، دراسة حول إبداع المرأة في الفن القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 2003